المخطوطات العربية الإسلامية: هوية و تراث

د.حياة كتاب

كلية العلوم الإنسانية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة المسيلة.

Salhayet6@yahoo.fr

ملخص

تعتبر المخطوطات العربية الإسلامية إرثا حضاريا هاما وجزءا قيما لا يتجزأ من حضارتنا العريقة، حيث تمثل هوية هذه الأمة منذ بداية التأليف و التدوين في جميع العلوم في عصر الأئمة المجتهدين كالعلوم الشرعية من فقه و أصوله و التصوف و التفسير وعلوم القرآن و غيرها ، فضلا عن العلوم اللغوية و الإنسانية ، بالإضافة إلى العلوم التي ازدهرت من خلال حركة الترجمة الواسعة التي عرفتها الأمة الإسلامية خلال العصر العباسي كعلوم الرياضيات و الفلك والطب و الهندسة و الكيمياء وغيرها من العلوم العقلية التي عرفت انتشارا واسعا تأليفا أو ترجمة، ما يدل على ما بلغه علماء هذه الأمة من تطور وابتكار وإبداع في شتى العلوم ، فهذا الإرث الحضاري من المخطوطات الإسلامية وخاصة الواردة باللغة العربية هي الأكثر عددا في العالم وهي موزعة في العديد من المكتبات والمتاحف في الدول الإسلامية وغير الإسلامية حيث تعتبر مصدرا أساسيا لدراسة الحضارة العربية الإسلامية عبر العصور.

مقدمة

تشكل المخطوطات إرثا حضاريا هاما وجزءا قيما لا يتجزأ من حضارتنا العربية الإسلامية، كان للعلماء فيها إسهام واضح في جميع المجالات و مختلف العلوم كالرياضيات و الطب و الهندسة و الكيمياء فضلا عن العلوم اللغوية و الإنسانية و العلوم الشرعية كالفقه و أصوله و التصوف و التفسير و غيرها، ولعل الباحث في هذا العلم يلاحظ مدى كثرة هاته المخطوطات و تواجدها في رفوف المكتبات في جميع أنحاء دول العالم العربي الإسلامي كتركيا و دول المغرب العربي و مصر ودول الخليج العربي وحتى في مكتبات الدول الغربية فهي تحتاج إلى الاهتمام من طرف الباحثين و طلبة العلم وإخراجها إلى النور بالدراسة و التحقيق.

ويؤكد المؤرخون والباحثون في هذا المجال بأن المخطوطات الإسلامية الواردة باللغة العربية هي الأكثر عددا في العالم وهي موزعة في العديد من المكتبات والمتاحف في الدول الإسلامية وغير الإسلامية حيث تعتبر مصدرا أساسيا لدراسة الحضارة الإسلامية عبر العصور وما بلغه علماؤها من تطور وابتكار وإبداع في شتى العلوم، ولقد نقلت هذه المخطوطات من مواطنها الأصلية إلى دول أخرى تحت ظروف سياسية و أمنية عرفتها دول العالم الإسلامي في مراحل معينة فكان مآل بعضها أن تحفظ حفظا يليق بمكانتها الثقافية والتاريخية الهامة والبعض الآخر أتلف وأهمل لتضيع معه صفحات من التاريخ.

ولقد أولت الدول العربية الإسلامية حاليا عناية خاصة بالمخطوطات فأنشأت المراكز ومخابر البحث في الجامعات و المعاهد تهتم بحفظها و صيانتها و تصنيفها مما يسهل على الطلبة و الباحثين دراستها و تحقيقها، ونجد هذه المخطوطات متنوعة تنوع المراحل التاريخية التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية ،فهي تشمل معظم أنواع العلوم النقلية والعقلية ، ابتداء من مخطوطات القرآن الكريم وعلومه، الحديث الشريف وعلومه ثم الفقه وأصوله وما يلحق به من القواعد وعلم الكلام والجدل والخلاف، وكتب الفتاوى والفرائض والتصوف والأدعية ، والسياسة والأخلاق، بالإضافة إلى مخطوطات اللغة و الأدب والعروض والنحو، والتاريخ الطبيعي والبشري، والجغرافيا والفلسفة، والطبّ البشري، والبيطرة ، والفيزياء والكيمياء، والرياضيات والفلك، وغيرها.

ويشمل هذا البحث العناصر التالية:

مقدمة

- تعريف المخطوطات
- أهميتها
- تاريخها و نشأتها
- أنواعها
- طرق حفظها ومعالحتها
- قواعد تحقيق المخطوط
- نماذج لمخطوطات عربية إسلامية

خاتمة

1-تعريف المخطوطات[1]

لغة: كلمة مخطوط مشتق من الفعل خط يخط، أي كتب وصور اللفظ بحروف هجائية.

اصطلاحا: ورد تعريفه الاصطلاحي بعدة تعريفات نذكر منها :

*المخطوطات هي ذلك النوع من الكتب التي كتبت بخط اليد لعدم وجود الطباعة وقت تأليفها وتمثل المخطوطات مصادر أولية للمعلومات، موثقة وتخص دراسة موضوعات متعددة، ويعتمد عدد من الباحثين بشكل كلي أو جزئي على المعلومات الواردة في المخطوطات.[2]

* المخطوط هو الكتاب الذي كتب باليد في عصر ما قبل الطباعة لحضارة معينة، ولبيئة علمية وثقافية معينة.[3]

*المخطوط هو كتاب لم يتم طبعه بعد، أي أنه ما زال بخط يد المؤلف أو بخط ناسخ غيره أو أنه مصور صورة فوتوغرافية أو بالمايكروفيلم عن مخطوط أصلي .

*وعندما تضاف كلمة المخطوطات إلى كلمتي العربية الإسلامية فيراد القصد منها المخطوطات التي أنتجها علماء الحضارة العربية الإسلامية على امتداد عصورها و أزمنتها في أعماق تاريخها الحافل منذ بداية تدوين العلوم إلى آخر القرن الثالث عشر الهجري.[4]

2-أهمية المخطوطات

تعتبر المخطوطات أحد رموز الأمة العربية الإسلامية وأحد الركائز التي بواسطتها يحافظ على هوية و تراث وتاريخ و حضارة هذه الأمة، فهي تمثل وعاء العلوم باختلاف مجالاتها و تنوع موضوعاتها ، فضلا عن كونها دلائل و آثار عن حضارة عظيمة أسست لحضارات أخرى تلتها بما جادت به عقول العلماء وخطت به أناملهم ، من تفسير للوحي و شرح لآحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وفقه الأمة وتاريخها ولغتها والعلوم التجريبية والفلك و غيرها [5]، ويمكن أن نجمل أهمية المخطوطات في النقاط التالية :

- دراسة التاريخ ونشر التراث العربي الإسلامي
- إعطاء الدراسات طابع علمي إذ يعتبر مادة خصبة للبحث
- الإسهام بمحتوى علمي يتضمنه المخطوط وذلك في مختلف مجالات العلوم
- إثراء المكتبات بمراجع حديثة من خلال تحقيق المخطوطات مما يزيد في النفع و الفائدة.

– يعتبر المخطوط حلقة وصل بين الماضي الحاضر .[6]

3–تاريخ و نشأة المخطوطات

نستطيع القول بأن المخطوطات نشأت مع بداية تدوين العلوم في عصر الأئمة المجتهدين، وخاصة وقد اتسعت الدولة الإسلامية في هذا العصر واحتاج الناس إلى من ينظم حياتهم ويقيم دينهم ، فانتشر العلم وأقبل الناس على الحفظ والكتابة والنسخ ، فدونت العلوم ، ومن أهم ما دون علم السنة وعلم الفقه، وفقه الصحابة والتابعين ، وفقه الأئمة المجتهدين على اختلاف مذاهبهم.

فأعظم ما ميز هذه الفترة ظهور الأئمة الأربعة:الإمام أبو حنيفة النعمان (150هـ) الإمام مالك بن أنس (179هـ) ،الإمام الشافعي (204هـ) ، والإمام أحمد بن حنبل (241هـ) كما تميز بنشاط الحركة العلمية في كل المجالات ، فاستفاد الفقه من تدوين السنة كما استفاد من تدوين العلوم الأخرى لصلته الوثيقة بها كعلم النحو والصرف والبلاغة واللغة والحساب [7].

و لقد اعتنى المسلمون بالمخطوطات عناية كبيرة لكونها السبيل الوحيد للحفاظ على ما أنتجه العقل العربي الإسلامي من مصنفات ورسائل موضوعها كتاب الله الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فجعلوا منها تحفا فنية ثمينة تركوا فيها تراثا فنيا عظيما متواجد في مختلف مكتبات العالم حيث يوجد بمدينة إسطنبول وحدها حوالي 124 ألف من المخطوطات النادرة معظمها لم يدرس من قبل ، بخلاف ما يوجد في مصر والمغرب تونس، الهند، وإيران وسائر المتاحف والمكتبات العالمية.

تطورت صناعة المخطوط العربي الإسلامي بشكل لم يسبق له مثيل في أي فن من الفنون السابقة حيث امتازت بدقة زخارفها المذهلة وجاذبية صورها وإبداع ألوانها وجمال خطها ورشاقته، إذ تشهد على ما وصل إليه فن صناعة المخطوط في العصر الإسلامي والعناية بجودة الخط في ربوع العالم الإسلامي، فقد كان الخطاطون يتمتعون بمكانة مرموقة وخاصة في العراق، إيران ،مصر وتركيا لانشغالهم بكتابة مخطوطات الأدب والشعر ومما يؤسف له أن شطرا كبيرا من هذه المخطوطات التي ازدانت بها المكتبات العربية الإسلامية ضاع بسبب ما تعرضت له الدولة العربية الإسلامية من حروب وفتن وغزوات أشهرها عندما اقتحم هولاكو بجيوشه بغداد عام 1258م، حيث ألقيت مئات الآلاف من المخطوطات في نهر دجلة، كما ذكر كثير من المؤرخين أن التتار قتلوا في العراق 24 ألفا من العلماء، كذلك حين سقوط غرناطة في يد الإسبان عام 1492م، أحرقت عشرات الآلاف من

المخطوطات، أما الذي سلم من هذه الكوارث والنكبات فقد نقل معظمه إلى دور المخطوطات والأديرة والمتاحف الأجنبية خلال الحروب الصليبية ثم من خلال الاستعمار الحديث للبلاد العربية ويقدرها معهد المخطوطات العربية بحوالي ثلاثة ملايين مخطوط.[8]

4-أنواع المخطوطات العربية:

تنقسم المخطوطات العربية من حيث طبيعتها إلى ستة أنواع أهمها :

***المخطوط الأم:** و هو الذي كتب بخط المؤلف و يستوفي هذا النوع الملامح المادية للمخطوط العربي و قد كان المؤلفون من العرب يضعون النسخة الأم بخزانة دار الخلافة حتى تصبح مراجعتها و استنساخ نظائرها و مقابلتها سهلة ميسورة.

***المخطوط المنسوب:** وهو المتولد من المخطوط الأم و المقابل عليه ويتم التعامل معه بنفس الدرجة من الصحة.

***المخطوط المرحلي:** وهو الذي يؤلف على مراحل ،فيؤلف أول مرة وينشر بين الناس ثم يضيف صاحبه إضافة تزيد على ما في المرحلة السابقة مثل:كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان.

***المخطوط المبهم:** ويمكن أن نسميه المقطوع أو المعيب لأنه يرتفع بنسبته إلى المخطوط الأم، و صحته غير موثوق بها و فيه عيوب كنقصان الورقة الأولى التي يحتوي على اسم المؤلف و العنوان أو قد يكون فيه تقديم وتأخير أو تكرار و طريقة تصحيحه تكون بتحليل جميع حروفه بالمقابلة مع نسخ المخطوط.

***المخطوط المصور**:في كثير من الدراسات المتعلقة بالفنون الإسلامية نجد أن الكثير من المخطوطات مصورة، ودراسة هذا النوع تتطلب معرفة و دراية بأمور التصوير و خبرة فنية لمعرفة ما تحتويه الصور من لمسات فنية و تغييرات كتابية

***المخطوط على شكل مجاميع:** توجد مخطوطات كثيرة ضمن اسم مجمع أو مجاميع، ويكون المجموع مجلد يحتوي على عدد من المؤلفات الخطية أو الأجزاء الصغيرة أو الرسائل.[9]

5-طرق معالجة وحفظ المخطوطات

*فهرسة المخطوطات

الفهرسة هي وصف المخطوط وتقديم صورة عامة عنه، من غير التطرق إلى الدراسة الموضوعية وتشمل ذكر اسم المخطوط واسم المؤلف وذكر فاتحة وخاتمة المخطوط ، عدد الورقات ونوع الورق ،نوع الخط وألوان الحبر ،اسم الناسخ وتاريخ النسخ ، نوع الجلد و مصدر المخطوط.

***تجليد المخطوطات** : وهي وتُعنى بحماية الكراسات المخطوطة من الخارج من التلف وقد استخدم فيه الورق والرق والنسيج والمعادن والخشب وغيره.[10]

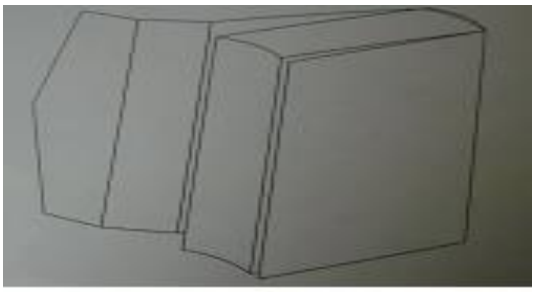

نمط تجليد الكتاب المخطوط

***حوامل المخطوطات و أدوات النسخ و الرسم[11]**

*الحوامل هي المواد التي كانت تُستخدم للكتابة عليها، وقد اختلفت هذه المواد باختلاف العصر والمكان، ومن هذه المواد:

العسيب: وهي أوراق السعف وجريد النخل وكذلك الكرانيف وهي السعف الغليظ الملتصق بالنخلة مباشرة

الأديم: وهو الجلد الأحمر المدبوغ وقد استعمل على أيام عصر صدر الإسلام والخلافة الراشدة

البردي: وهو نبات البردي الذي ظهر في مصر وفلسطين وبلاد ما وراء النهرين وصقلية، واستخدم ورق البردي" ، ويرجع استخدامه كحامل في الكتابة لما قبل "في اللغة العربية باسم "القرطاس" الميلادى بـ

الرق: وهي الجلود التي كان سمكها يسمح بالكتابة عليه مثل جلود الغزال، يقوم العامل بنتف الشعر منه ويجفف مع بعض القليل من الدباغة.

الورق: أول من أستعمله الصينيون، وقد عرفه المسلمون بعد فتح سمرقند عام 87هـ، وبدء الاستخدام به كحامل للكتب المخطوطة على نطاق واسع.

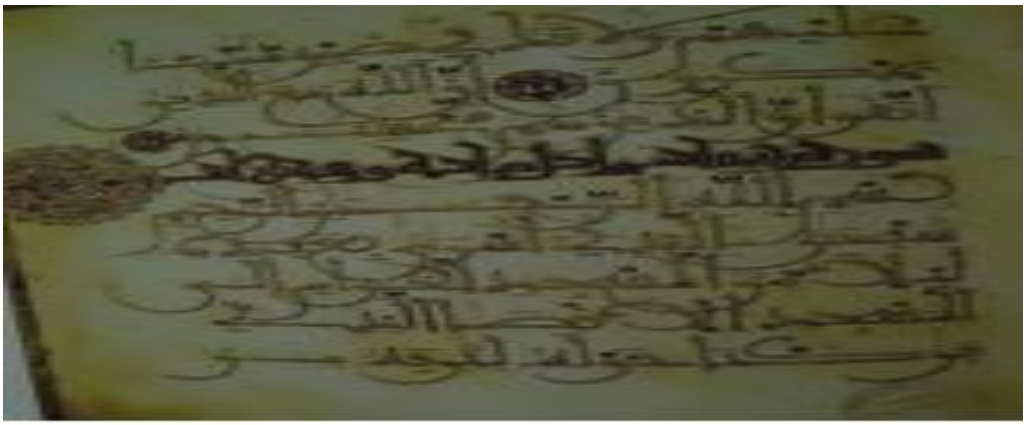

مخطوط من الرق مكتوب بماء الذهب

*أما أدوات النسخ و الرسم فهي الأدوات التي تتم بها الكتابة على الحوامل مثل:

القلم: عُرف القلم بعدة أسماء منها الطومار والرياسي والنصف والثلث والثلثين.

شكل لأقلام مشرقية ومغربية

المداد: وهو ما يستعين به القلم للكتابة مثل الزيوت ومداد الكربون و غيرها.

الأحبار: ويراد به اللون الذي يُعطى للمداد للكتابة.[12]

مداد بني مستخدم على ورق داكن

***صيانة وترميم المخطوطات**

الترميم هو عملية تكنولوجية دقيقة ذات عرف خاص موحد عالمياً، وهي في الوقت نفسه عملية فنية جمالية تحتاج إلى حس عال ومهارات فائقة، وتتضمن عمليات تجميع وتثبيت وتقوية وتجميل وإعادة المواد الأثرية إلى شكل أقرب إلى أصلها، وهي بتعبير آخر عملية علاج للأثر المسن في محاولة لإزالة بصمات الزمن ومظاهره المتعددة مثل الكسور، والتشققات، والثقوب، وأحياناً اختفاء أجزاء معينة تختلف في حجمها أو مساحتها، كذلك موقعها داخل جسم الأثر أو المادة المراد معالجتها.

وبالنسبة لصيانة المخطوطات فهي تمر بثلاثة مراحل:

1–مرحلة التعقيم وهي إبادة جميع أنواع الحشرات والفطريات والبكتيريا التي تصيب المخطوط.

2–مرحلة المعالجة الكيميائية وذلك باختيار نوعية حبر المخطوط وتحضير الصبغة المناسبة للورق.

3–مرحلة الترميم اليدوي و الآلي وذلك بمعالجته من الثقوب و التشققات وحتى الغلاف الخارجي من غير إضافة مواد عصرية للحفاظ على أثريته.[13]

6–قواعد تحقيق المخطوط

" التحقيق يقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوط حتى يصح عنوانه و اسم مؤلفه و يثبت نسبة الكتاب إليه و يكون متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه ، " وقيل "هو إثبات صحة المخطوط من حيث عنوانه واسم مؤلفه ومتنه –المادة العلمية –وتقديمه للمطبعة بعد ذلك لنشره ليطلع عليه عامة الناس ويسمى علم تحقيق الوثائق"

ويقتضي عمل التحقيق ما يلي:

- التحقق من صحة المخطوط واسمه ونسبته إلى مؤلفه
- معرفة نسخه و جمعها من المكتبات المختلفة و المقابلة بينها
- إذا كانت النسخة (أصلية) فتثبت كما هي
- إذا كان المؤلف نقل نصوصا من مصادر ذكرها فتعرض هذه النصوص على أصولها ويشار في الحاشية بإيجاز إلى ما فيها من زيادة ونقصان
- قد يخطئ المؤلف في كتابة لفظ أو اسم فيستطيع المحقق أن يصحح الخطأ في الحاشية .[14]

7- نماذج لبعض المخطوطات

مخطوط " الأرجوزة التلمسانية في الفرائض " للتلمساني

مخطوط "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" للمازوني

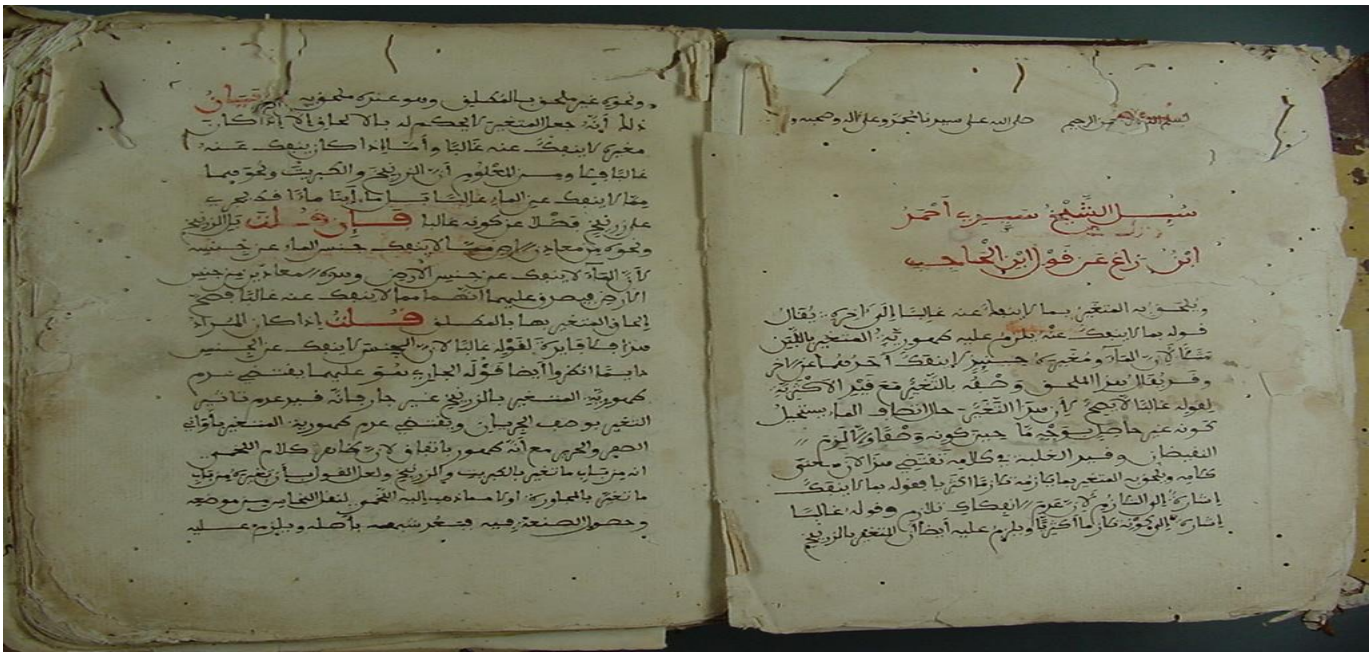

مخطوط "الإعانة ببعض مسائل الحضانة" للبوني

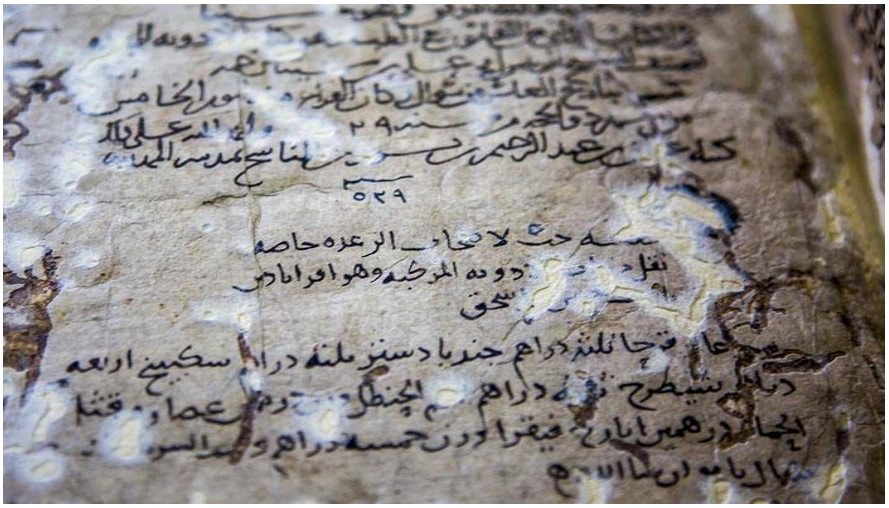

القانون في الطب لابن سينا –تركيا–

خاتمة

تعتبر المخطوطات أحد رموز الأمة العربية الإسلامية وأحد الركائز التي بواسطتها يحافظ على هوية و تراث وتاريخ و حضارة هذه الأمة، فهي تمثل وعاء العلوم باختلاف مجالاتها و تنوع موضوعاتها ، فضلا عن كونها دلائل و آثار عن حضارة عظيمة أسست لحضارات أخرى تلتها بما جادت به عقول العلماء وخطت به أناملهم ، من تفسير للوحي و شرح آحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وفقه الأمة وتاريخها ولغتها والعلوم التجريبية و غيرها ، ويمكن أن أجمل أهم نتائج هذا البحث في النقاط التالية:

– تعتبر المخطوطات حلقة وصل بين الماضي الحاضر.

– الاهتمام بالمخطوطات يساهم في دراسة التاريخ ونشر التراث العربي الإسلامي .

–أولى المسلمون عناية كبيرة بالمخطوطات لكونها السبيل الوحيد للحفاظ على ما أنتجه العقل العربي الإسلامي.

– طريقة و حفظ و صيانة و ترميم المخطوطات علم و فن قائم بذاته ذو عرف خاص موحد عالمياً، يحتاج إلى حس عال ومهارات فنية فائقة.

– تحقيق المخطوطات مجال واسع و مهم لكل مهتم بدراستها، حيث على الباحثين الغوص في هذا المجال من أجل إخراج العديد من المخطوطات المهمة إلى النور بدراستها و تحقيقها.

– يمكن لهذا الإرث الحضاري أن يثري المكتبات بمراجع حديثة من خلال تحقيق المخطوطات مما يزيد في النفع و الفائدة.

الهوامش

(1)-فهمي سعد ، طلال مجذوب ، تحقيق المخطوطات بين النظرية و التطبيق ، دار عالم الكتب ، صيدا ، بيروت ، ط1، 1933م ، ص13-14

(2)- إياد خالد الطباع ، المخطوط العربي ، دراسة في أبعاد الزمان و المكان ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة ، دمشق ، 2011م ، ص5-6.

(3)- نفس المرجع السابق.

(4)-ميري عبود فقوجي ، فهرسة المخطوط العربي ، دار الرشيد ، بغداد 1980م ، ص20

(5)-محمد فؤاد الخليل القاسمي ، أهمية المخطوط في الحفاظ على الهوية و التاريخ ، انظر الموقع الالكتروني:
http://darelkhalil.blogspot.com/2015/05/blog-post_14.html

(6)- نفس المرجع السابق

(7)-انظر: عمر سليمان الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي ، دار البعث ،قسنطينة ، الجزائر ،1990م ،ص 86-87
محمد الخضري بك ، تاريخ التشريع الإسلامي، دار شريفة ، الجزائر، ص170-173

(8)- فهمي سعد ، طلال مجذوب ، تحقيق المخطوطات بين النظرية و التطبيق ، ص5-6

(9)- صلاح الدين المنجد ، قواعد فهرسة المخطوطات العربية ،دارالكتاب الجديد ، بيروت ، ط1، 1976م، ص11

(10)- نفس المرجع السابق.

(11)-عمر بكر ، الكوديكولوجيا، علم دراسة المخطوط ، انظر الموقع الالكتروني:
http://www.egyres.com/articles

(12)- نفس المرجع السابق.

(13)-مصطفى السيد يوسف ، صيانة المخطوطات علما و عملا، نشر عالم الكتاب، بيروت ،2002م ، ص24-25

(14)-انظر: عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص و نشرها ،مؤسسة الرسالة ، القاهرة ، 1965م ، ص39
أحمد محمد الخراط ، محاضرات في تحقيق النصوص ، دار المنارة ، جدة 1984م ، ص8.